

الترجمات العربية للكتاب المقدس، مشاكل وتحديات معاصرة

بقلم جون دانيال* (nt.peripatetic@gmail.com)
كلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة

إن تحديات الترجمة في الزمان الحاضر كثيرة ومتعددة وتحتاج لأكثر من مقال للحديث عنها. فهناك تحديات عامة تختص بترجمة النص الكتابي من اللغة الأصلية إلى أي لغة مثل: تحديات اللفظ المتعلقة باختيار اللفظ والمعنى، والتحديات الدلالية المتعلقة بفهم المعاني المختلفة للكلمة ودلالاتها في المواضيع المختلفة مما يجعلنا نتأرجح بين الثبات اللفظي (consistency) وبين اختلاف دلالة الكلمة في موضعها. هناك أيضاً التحديات التركيبية المتعلقة بنقل التراكيب المختلفة ومدى تمسكنا بتراكيب اللغة الأصلية. توجد أيضاً تحديات أخرى متعلقة بنوعية الترجمة من الترجمة الحرفية إلى الترجمة المكثفة (abstract translation).

لكن من وجهة نظري أرى أنه يوجد ثلاثة تحديات مهمة أحب أن أشير لهما في مقالي هذا، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بترجمة الكتاب المقدس للعربية وهم: (١) تحدي اختيار النص؛ (٢) تحدي اختيار اللغة؛ و(٣) التحديات المتعلقة باختيار أهداف الترجمة واستراتيجياتها.

اختيار النص

ماذا تقصد باختيار النص؟ ألا نتكلم عن ترجمة الكتاب المقدس؟ بلى، ولكن إن تكلمنا عن العهد القديم فقد يكون الأمر أسهل حيث أن الاختيار بين النص

* Originally published as: John Daniel, "Contemporary Issues and Challenges in the Translation of an Arabic Bible," *Cairo Journal of Theology* 2 (2015): 42-51, <http://journal.etsc.org>.

المازوري العبري والترجمة السبعينية اليونانية، وحيث أن هناك اتفاق على أن النص المراد ترجمته للعهد القديم هو النص العبري باعتبار أن الترجمة السبعينية هي ترجمة للنص أولاً وأخيراً^١ مما يجعل الأمر سهلاً بالنسبة للعهد القديم.

وإن تكلمنا عن العهد الجديد فالأمر مختلف، فهناك نصان، الأول المعروف بالنص المقبول (Textus Receptus) والنص الثاني هو النص النقدي (critical text) وبدون الخوض في غمار الاختلاف بين النصين أو أي شيء يتعلق بالنقد النصي، فإنه أصبح جلياً لنا في عصرنا الحديث حاجتنا لأن تكون الترجمات العربية من ذلك النص النقدي.

قد يعتقد البعض أن إخفاء النص النقدي عن العامة أصبح ممكناً، كما يظن هؤلاء أن الاحتفاظ بالنص المحفوظ الذي لا يمكن تغييره حتى لا يربك الناس، أو أن يسبب أسئلة صعبة الإجابة عند أصحاب الديانات الأخرى. الواقع يحدثنا أن إخفاء مثل هذه الأمور يجعل التهامس حول صحة النص يتعالى وخصوصاً في زمن أصبحت فيه المعلومات متاحة يمكننا أن نقول أكثر من اللازم، وبدلاً من أن تحل الكنيسة المشكلة فإنها تدفن رأسها في الرمال.

يأتينا بعض المهاجمين للمسيحية ببعض الآيات الكريستولوجيا الشهيرة (مت ١٨: ١١، ٢٤: ٢٣؛ لو ٢٣: ٢٤؛ يو ٦: ٦٩؛ أع ٢: ٣٠؛ عب ٢: ٧؛ ١ يو ٥: ٧، ٨)، ويقارنون بينها في النصين النقدي والمقبول وعندما يروا الاختلاف تمتلئ الكتب وصفحات الإنترنت بهجوم واسع قد يكون مبنى على غير أساس. لماذا نخفي تلك الاختلافات وخصوصاً أن هذه الاختلافات لا تؤثر على صحة العقيدة المسيحية. بل بالعكس تلك الآيات الكريستولوجيا قد تعكس لاهوتاً كريستولوجياً متأخر.

قامت ترجمة فان دايك بترجمة النص المقبول بينما اعتمدت ترجمات عربية أحدث على النص النقدي مثل الترجمة العربية المشتركة والترجمة المبسطة، وكذلك اليسوعية وإن عكست تلك الترجمات توجهاً جديداً، لكنها لم

١ إن كان العهد القديم الذي بين أيدينا هو ترجمة للنص المازوري العبري، ولكن للترجمة السبعينية دور مهم في فهم النص العبري، ليس فقط بل إن أقدم مخطوطات الترجمة السبعينية تعود لزمان سابق لمخطوطات النص العبري المازوري. كما إن كتاب العهد الجديد اعتمدوا في اقتباساتهم عليها مما يعطيها أهمية كبيرة. وبالرغم من ذلك، فإن الواقع يقول إنه لا توجد محاولات جادة في العصر الحديث لترجمة النص السبعيني إلى العربية.

تقدم سوى ترجمة للنص النقدي، أي إنها لم تقدم للقارئ سوى حيرة الاختلاف. بل أنها مخالفة لكل الأعراف في الأمانة نحو النص المترجم في بعض الأحيان قدمت النص المقبول كما هو بالذات في الآيات المحفوظة، بل إن الترجمة اليسوعية عكست بعض الأحيان النص اللاتيني، الفولجاتا.

ومما سبق، يمكننا أن نرى فرصة للكنيسة في الشرق الأوسط وهي منطلقة نحو القرن الواحد والعشرين، ليس فقط أن تقدم النص النقدي للناس، بل لكي تبحث فيما أراد النص أن يقول وما هي الإضافات المتأخرة والتي مما لا شك فيه عكست بعض الأفكار اللاهوتية والسلوكية – حتى غير الكرستولوجيا (مت ١٧: ٢١، ٢٠، ١٦، ٢٢، ٢٣؛ مر ١١: ٢٦؛ يو ٥: ٣، ٤؛ رو ٨: ١، ١١: ٦؛ ١كو ٦: ٢٠) – التي أثرت في الكنيسة على مدى القرون الماضية، والتي يمكنها أن تكون انطلاقة نحو لاهوت شرق أوسطي صحيح ومتجدد.

اختيار اللغة

اللغة العربية طبيعة خاصة، فالدول الناطقة باللغة العربية ليست كلها عربية بطبيعتها وفكرها. فيمكننا أن نقسم الدول الناطقة باللغة العربية إلى خمسة مجموعات رئيسية: (١) **اللهجة الخليجية**: المنتشرة في شبه الجزيرة العربية وجنوب العراق وهم غالباً عرب بطبيعتهم وإن كنا نرى بعض التأثير الفارسي كلما أتجها شرقاً. (٢) **اللهجة الشامية**: وتشمل غرب العراق، سوريا، لبنان، الأردن وفلسطين والتي تعكس لهجتهم تأثير اللغات السامية الأقدم كالسريانية، الآرامية والنبطية. (٣) **اللهجة المصرية**: والتي تعكس تأثير اللغة المصرية القديمة. (٤) **اللهجة المغاربية**: التي تمتد من الصحراء الغربية المصرية وحتى المغرب وهذه أيضاً تعكس الأمازيغية بلهجاتها المتعددة. (٥) **اللهجة الأفريقية**: في السودان، إريتريا، جيبوتي، الصومال وتشاد، وهي تعكس اللغات الحامية والتقليدية القديمة.

يظن البعض أن الحل في اللغة الفصحى الحديثة حيث يمكنها أن تجمع متحدثي اللغة العربية من كل صوب. بالفعل هذا صحيح وإن كان غير صحيح للنهاية. يطلق الناطقون باللغة العربية على هذه اللغة "لغة الجرائد" والمقصود هنا لغة عربية سليمة حديثة. هذه اللغة تعكس سلامة الألفاظ والتراكيب كما تعكس الحداثة. هذه اللغة تقدم لغة سهلة لكل من لديه الحد الأدنى من التعليم. لكن

الواقع يحدثنا بأن هناك اختلافات محلية بين الدول بعضها البعض، فقراءة الجريدة في مصر يختلف عنه في لبنان وتونس لفظاً وتركيباً. علاوة على ذلك هناك ميل طبيعي في الأدب العربي الحديث نحو خلط الفصحى بالعامية.

التطور في الأدب العربي منذ عهد النهضة العربية في نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين وحتى الآن يفوق بكثير كل التطور الذي حدث في اللغة العربية منذ نشأتها وحتى القرن العشرين. فبعد عصر الرواد قدم الأدب العربي نجوماً في عصر ما بعد الاستعمار ساروا في الأساس على نهج روادهم. ثم قدم العقدان الأخيران توجهاً أدبياً جديداً كان جزءاً من مقدمات الربيع العربي ليس فقط على مستوى الموضوعات بل على مستوى الطرح تركيباً ولفظاً. التطور المذهل في العشرين سنة الأخيرة وجه الكنيسة نحو تحدي جديد واعتقد أن هذا التحدي يجب أن يبدأ من فكرة ترجمة حديثة، أهم مبادئها هي، السؤال: أي لغة نريد؟ أنريد ترجمات عربية محلية عامية متنوعة؟ أنريد ترجمة عربية تعكس توجهاً شرق أوسطياً عام؟ أم نريد ترجمات عربية فصحى تعكس توجهات محلية؟

لقد عكست ترجمة فان دايك توجهاً عربياً مشتركاً وهو ما أدى لوجود ألفاظاً وتراكيب غريبة على المجتمعات المحلية صارت فيما بعد محفوظات مسيحية في عقول المجتمعات المسيحية المغلقة. ليس فقط بسبب قدمها ولكن أيضاً بسبب عمومياتها. في الوقت الذي استطاعت فيه ترجمة مثل الترجمة العربية المشتركة إيجاد الحل في تجاوز القيد لكنها لم تجد حلاً في تجاوز العمومية وكذلك الترجمة العربية المبسطة.

دعني أتوجه بالخصوص للحالة المصرية، فالمصريون يمثلون تقريباً ربع الناطقين باللغة العربية. بالرغم من ذلك لا توجد ترجمة تعكس توجهاً مصرياً خالصاً. حتى الترجمات التي شملت في لجان إعدادها على خبراء مصريين لم تعكس التوجه المصري بل إن التأثير المصري فيها يعتبر من أقل التأثيرات. صحيح أن الفصحى المصرية أبسط في تراكيبها من الفصحى في لبنان وسوريا، لكنها تتسم بالتنوع اللفظي الذي أحدثته العامية المصرية بشكل أو بآخر، لكن هذا لم نره منعكساً في الترجمات العربية إلا قليلاً في الترجمة العربية المبسطة. قد يكون هذا لأسباب إدارية خاصة بصناعة القرار، أو قد يكون هذا بسبب طبيعة الإنتاج كونه أولاً وأخيراً ترجمة.

أما السؤال عن العامية فلا يزال مفتوحاً، فبالرغم من أننا يمكن أن نقسم اللهجات العامية لخمسة مجموعات كبيرة لكن الواقع يقول إنه داخل تلك

التقسيمات الكبيرة العديد من التقسيمات الأصغر التي قد تصل إلى وجود اختلافات عميقة بين كل مدينة وجارتها بل بين كل قرية وجارتها ليس فقط صوتياً لكن أيضاً تركيباً ولفظاً. قد يكون الحل في اختيار اللهجة الأكثر انتشاراً أو اللهجة المسيطرة إعلامياً مثل اللهجة القاهرية في مصر. لكن حتى هذا يفتح لنا سؤالاً آخر حول عدم وجود قواعد محددة للهجات العامية بالرغم أن يمكنها أن ترقى لأن تكون لغة خاصة. فإن نظرنا على سبيل المثال لموقع ويكيبيديا نجد اللغة المصرية العامية ضمن اختيارات اللغة وبالرغم من المحاولات الجيدة لبعض المحررين، لكنك سيمكنك أن تلاحظ أن تحرير المقالات لا يعكس أكثر من استبدال الألفاظ الفصحى بألفاظ عامية^٢ دون انعكاس حقيقي للتراكيب المصرية ببساطة لأنه لا توجد قواعد للغة العامية بالرغم من أن الفعل العامي المصري أكثر ديناميكية من نظيره في الفصحى. المشكلة الأخرى التي نراها في اختيار العامية هي: أي مستوى من العامية نريد؟ وما هي قواعد الكتابة؟ فلا يوجد قواعد للإملاء في اللغة العامية. وماهي طريقة الكتابة؟ هل سنستخدم الحروف العربية أم سنستخدم الحروف اللاتينية بتصرف كما هو الحال في أغلب مواقع التواصل الاجتماعي والرسائل القصيرة.^٣

الحقيقة إن العامية اختيار جيد لكن المشاكل السالف ذكرها قد تمنعنا من إنتاج ترجمة عامية ترقى للمعنى الحقيقي للترجمة على الأقل في الوقت الحاضر. إن استطاعت دار الكتاب في لبنان في إنتاج الترجمة العربية المشتركة التي تعكس كثيراً الفصحى اللبنانية وكذلك إذا استطاعت ترجمة "الإنجيل الشريف" من عكس توجه شمال إفريقي ألم يحن الوقت لأن نرى ترجمة فصحى تعكس توجهاً مصرياً خالصاً؟

أهداف الترجمة واستراتيجياتها

لأي ترجمة أهداف تتنوع بين الأهداف الكرازية، التعليمية، الحرفية والتبسيطية. أما استراتيجية الترجمة فتبدأ من فكرة القراءة التحضيرية للنص المراد ترجمته

٢ يوجد هناك ترجمة متكاملة للكتاب المقدس باللهجة العامية المغربية "الدارجة" ولكنها لا ترقى إلى ترجمة حقيقية أكثر منها تبسيط للنص.

٣ هناك محاولات لبنانية لإنتاج الكتاب المقدس بالعامية اللبنانية بالحروف اللاتينية، كما حاولت دار الكتاب المقدس في مصر بتجاوز تلك المشكلة بإنتاج نسخة مسموعة للكتاب المقدس بالعامية المصرية.

مروراً باختيار النص ومستوى اللغة ثم وضع المعايير المحددة لفريق الترجمة وتنتهي بالمراجعة، ضبط المعايير وطرح المنتج للمناقشة المجتمعية. أما بالنسبة للترجمات العربية فقد كانت الأهداف والاستراتيجيات غير واضحة في كثير من الأحيان.

الحقيقة منذ أن قدمت فان دايك نفسها كترجمة معتمدة عند أغلب مسيحيي الشرق الأوسط بل وأصبحت "كينج جيمس العرب" بالرغم من تزامن بعض الترجمات كالترجمة الدوميناكانية وترجمة الشدياق، إلا فإن دايك فقط هي التي استطاعت أن تشق طريقها في كل مكان في الشرق الأوسط. كما حاولت أغلب الترجمات اللاحقة بالرغم من كل شيء أن تنظر لنفسها بشكل أو بآخر كمصحح لفان دايك أو بكلمات أخرى محاولة أن تتفادى أخطاء فان دايك. أي إن فان دايك شكلت بشكل أو بآخر صورة ذهنية - حتى لو كانت سلبية - في ذهن الترجمات اللاحقة.

ليس هذا فقط بل إن معظم الترجمات اللاحقة تشكلت من ميثانص^٤ آخر، بل بوسعي أن أقول إن ترجمت "كينج جيمس" شكلت ميثانص لترجمة فان دايك سواء من حيث اختيار النص أو من حيث حرفية الترجمة لفظاً وتركيباً. إن نظرنا للترجمات الأحدث فسنجد مثلاً أن ترجمة "كتاب حياة" تشكلت من الـ Easy to Read Version (NIV) New International Version. أما الـ Read Version، فقد شكلت ميثانص "للترجمة العربية المبسطة" وكذلك الترجمة العربية المشتركة استخدمت الـ Good News Bible كميثانص. إن نظرنا من الناحية الأخرى للترجمة اليسوعية صحيح لا يمكننا أن نمسك بنص معين كميثانص، لكن يمكننا أن نرى عدة عوامل شكلت الميثانص كالتقليد الكاثوليكي وترجمة الفولجاتا. الواقع يقول إننا فعلاً بحاجة لترجمة متحررة من الميثانص، بل ومن الصور الذهنية السابقة، ولكن هذا لا يكون إلا بمعرفة الأهداف وتحديدها.

٤ مصطلح الميثانص meta-text هو مصطلح أطلقه اللغوي أنطون بوبوفيتش Anton Popovič، ويعني وجود نص آخر مترجم بالفعل من نص المصدر (source text)، يشكل نقطة انطلاق لترجمة جديدة أخرى ويؤثر عادة في استراتيجية الترجمة.

Mark Shuttleworth and Moira Cowie, *Dictionary of Translation Study* (Manchester: St. Jerome Publishing Limited, 1997), s.v. "Meta Text."

يفكر البعض في فكرة ترجمة تنقيحية لفان دايك كحل يرضي جميع الأطراف ونحن على أوائل القرن الواحد والعشرين، صحيح أن لفان دايك قدرة على نشر الروح المسكونية نظراً لقبولها إلى حد كبير من جميع الطوائف المسيحية، لكن تنقيح حقيقي لفان دايك قد يفرض أسئلة كثيرة متعلقة باستراتيجية الترجمة، ما هي؟ من يضعها؟ كيف نضمن ثبات استراتيجية؟ هل سنغير النص المترجم من النص المقبول للنص النقدي؟ والسؤال الأهم عن النتيجة التي سنصل إليها. هل نص فان دايك المنقح مهما كانت فوائده، هل سيكون ما نطمح إليه في القرن الواحد والعشرين؟

إن عصر ما بعد الحداثة قد انتهى وبدأ عصر جديد ظهرت أول ثماره في الربيع العربي وبداية تغير في موازين القوة. لقد تطور عصر المعلومات بفكرة مواقع التواصل الاجتماعي وأصبحت الحقيقة أكثر نسبية. إن الخبر على مواقع التواصل الاجتماعي لا يقاس بمدى صحته بل يقاس بتوجهه. أصبح من حق كل شخص أن يضع لمسته الخاصة وأن ينشر ما يشاء وقتما يشاء. وهذا يفرض أسئلة جديدة تفوق فكرة قواعد الترجمة المعروفة. بداية من دقة الترجمة، فهم اللغة المترجم إليها، إيجاد المتكافئات الدلالية والتركيبية وكذلك شحنة التواصل الصحيحة. بل إن هذا يطرح في الحقيقة أسئلة ليست فقط متعلقة بلغة الثقافة المحلية^٥ (realia)، والشفرة الثالثة^٦ (third code)، وأسئلة حول مدى تواجدهما وكيف نقدم ترجمة حديثة تعكس مفاهيم معاصرة لهما. قد نرى في ترجمة The Message^٧ أكثر درجات التحرر من لغة الثقافة المحلية والشفرة الثالثة. ولكن هل هذا ما نريده؟ أشك، فالحاجة لا تزال أعمق من هذا.

ظهرت الحاجة حديثاً لما يعرف باسم الترجمة المكننزة (thick translation)، وهي الترجمة التي تعتمد على المزيد من المقدمات المستفيضة، الحواشي والفهارس لتوضيح النص المترجم.^٨ مثل هذه الترجمات تقي المترجم

٥ مصطلح يطلق على ظهور مصطلحات الثقافة المحلية للنص أصلي في النص المترجم. المرجع السابق، "Realia".

٦ مصطلح يطلق على ازدواجية نسب النص المترجم لكل من لغة الأصلية واللغة المترجم إليها مما ينشئ نوع من لغة ثالثة تنتمي لكل من اللغتين. المرجع السابق، "Third Code".

٧ ترجمة إنجليزية حديثة تتسم بالتحرر من الألفاظ والتركيب الكتابية ولغة شبابية متحررة، مثل ترجمة "أمين" لـ "yes yes" بدلاً من "amen".

8 Shuttleworth and Cowie, *Dictionary of Translation Study*, s.v. "Thick Translation."

اللغز الناتج عن اختلاف ثقافة، زمان ومكان النص المترجم منه. يعتبر هذا أحد الحلول التي تفرضها ترجمة الكتاب المقدس. فكم الحواشي والمقدمات يخدم التنوع الحضاري والأدبي ويزيل الإبهام عن كثير من الغموض دون اللجوء للمزيد من الابتعاد عن الحرفية.

خاتمة

استعرضنا في السطور السابقة بعض المشكلات والتحديات التي تواجه إيجاد ترجمة عربية حديثة تليق بالقرن الحادي والعشرين. بالطبع توجد كثير من التحديات الأخرى كالتحديات اللاهوتية والتحديات الاجتماعية والثقافية، لكني اكتفيت بما أوردت.

من كل ما سبق، نستطيع أن نعي أن الكنيسة تحتاج أن تقدم مفهوماً حضارياً عن اختلاف النصوص، وأن تكون صريحة مع نفسها قبل أن تكون مع الآخرين. بل وأن تقدم ترجمة حديثة مبنية على النص النقدي.

نحتاج لترجمة تفهم النص لأكثر الحدود من حيث الدقة والكفاءة، وتقدم للقارئ المعاصر لغة حية يفهمها ويتفاعل معها. ليس هذا فقط، بل نحتاج إلى ترجمة تقدم مفردات العصر ففرض نفسها كمادة انطلاق نحو لاهوت شرق أوسطي معاصر. قد لا يكون الحل على الأقل الآن في ترجمة عامية مصرية خالصة، نظراً لعوامل كثيرة سبق أن ذكرتها، ولكن من يدري ماذا يحمل المستقبل لنا. لكن على الأقل في وقتنا الحاضر نحتاج لترجمة عربية حديثة تعكس توجهاً مصرياً خالصاً وتمثل امتداداً أدبياً للتطور الأدبي الحادث في العقود الأخيرة.

قد نكون حقاً محتاجين لترجمة مكتنزة تشرح للقارئ وتوضح له دون الابتعاد عن الحرفية ولا أقصد هنا اكتناز الترجمات العربية السابقة بل أقصد اكتناز مبني على ترجمة جديدة خالصة. أخيراً، نحتاج لترجمة تُطرح للحوار المجتمعي قبل وبعد العمل وأن تراعي في دواخلها تطلعات المجتمع وآماله.

جون دانيال خادم في الإرسالية الهلينية ومدرس لليونانية في كلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة بالإضافة لعدة مؤسسات أخرى. لقد درس مناهج في تقنيات ترجمة العهد الجديد وعمل في مشروع ترجمة "فان دايك الجديدة".